جامــعة بغداد

كلية التربـية للـبنات

قسم اللغة العربية



المَنهَجُ البِنيويُّ
في ضوءِ علم اللُّغَةِ الحَدِيثةِ

قراءةٌ في المَفهومِ

إشـرَافُ الدُّكتورة

جُمَانَة مُحَمَّد

إعـــــدَادُ الطالبةِ

مَفَاز فَارُوق فُؤاد

المَرحَلة الثَّالِثَة

شُعبـَــــة (هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

{ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا }

صدق الله العلي العظيم

(سورة طه ١١٤)

الإهـداء..

إلــى مـن تـورق بعطرهمـا الأشـجار.. وتتـراقص علـى وقع خطواتهما أوراقها..

إلى أكسجينيَّ (والديَّ).

وإلــى كــلِّ باحــثٍ عــن المعلــم والمعرفــة، لاســيمَّا أســـــــــــــتاذة المـــــــــــــادة..

أهــــــدي هــــــذهِ الوُريقـــــات المتواضــــــعة..

مفــــاز....

قائمة المحتويات

المقدِّمةُ

الحمدُ للّهِ العليمِ الهادي، والصلاةُ والسلامُ على خيرِ الأنامِ محمدٍ المبعوثِ رحمةً للعبادِ، وعلى آلهِ أعلامِ الإسلامِ وأصحابهِ مصابيحِ الظلامِ، وعلى من سلَكَ طريقَهُ واقتفى أثرَهُ وتبعَ سنتَهُ إلى يومِ الدينِ.

وبعد :

فاللغةُ هي الوعاء الذي يختزنُ الفكرَ ويحمله، وهي الوسيلة الأمثل للتعبير عن حاجات الفرد ومكنونات نفسهِ ودواخلها، وقد شغلت دراسةُ اللغة المفكرين منذُ أقدم العصور في محاولةٍ للوقوفِ على ماهيتها واكتشاف أسرارها .

وإذا كانت دراسة اللغة في حدّ ذاتها وفي خطها الصفريّ قد شغلت المفكرين والباحثين، فإن دراسة الأدب الذي اتخذ من اللغة صورةً له نالت حظًا أوفر من العناية والاهتمام؛ ذلك أنها لغةٌ ترتبط وحدتها بعلائق متعددة ومتشعبة وتتأثر بمؤثرات داخلية من نفس الأديب وأخرى خارجية؛ ولما كان الدارسون للأدب ينطلقون من تصوراتٍ مختلفة ويحملون أيديولوجيات متعددة تعددت المناهج التي تدرس الأدب، ولعل من أهم هذه المناهج المنهج البنيوي الذي أرسى دعائمه الأولى دس سوسير كمنهج يدرس اللغة، ثم ما لبث هذا المنهج أن أصبح منهجًا علميًا له قواعده وأصوله، فنقله النقاد واستثمروا مبادئه في دراسة الأدب .

سأتناول في هذا البحث _قدر الإمكان_ المنهج البنيوي محاولة ان اقف على اهم الأمور التي يرتكز عليها بما توافر لي من مصادر للمعلومات، ساعية في ذلك أن أزيل اللبس فيما ما يدور حول المنهج البنيوي، لأوضح أهم مرتكزاته، ومعرجةً على أعلامه ومؤسسيه. ففي التمهيد تناولت تعريف البنيوية واسسها. وبعدها جاء المبحث الأول ليوضح الأسس والروافد التاريخية التي تتحدر منها البنيوية. لتخطا هذه المرحلة ويأتي المبحث الثاني الذي خصصته لأعلام هذا المنهج، والمبحث الثالث الذي هو عمق البنيوية وصلبها الذي يتحدث عن شروط البنيوية في مجال تحقيق ما جاءت من أجله.

الباحثة...

٢٠١٦/٣/٨م

تمهيد

النقد البنيوي لغةً واصطلاحًا

قبلَ الشروعِ في الحديثِ عن المنهجِ البنيويِّ كتيّارٍ فكريٍّ ظهرَ ليتجاوزَ النزعةَ التاريخيةَ والفلسفاتِ التي تعتمد الذات كخلفيةٍ مثل الوجوديةِ أو الظاهراتيةِ، لا بدَّ لنا من تحديد مصطلح البنية لغةً واصطلاحًا .

تحديد مصطلح البنية .

أولاً : الدلالة اللُغوية لكلمة بنية .

تشتقُّ كلمةُ (بنية) من الفعلِ الثلاثيِّ (بنى) وتُعني البناءَ أو الطريقةَ، وكذلك تدلُّ على معنى التشييدِ والعمارةِ والكيفيةِ التي يكون عليها البناءُ، أو الكيفيةُ التي شُيِّد عليها[1]، وفي النحو العربي تتأسسُ ثنائيةُ المعنى والمبنى على الطريقةِ التي تُبنى بها وحدات اللغةِ العربيةِ، والتحولات التي تحدثُ فيها .

ولذلك فالزيادةُ في المبنى زيادةٌ في المعنى، فكلُّ تحولٍ في البنيةِ يؤدي إلى تحول في الدلالةِ، والبنيةُ موضوعٌ منتظم، له صورتهُ الخاصةُ ووحدتهُ الذاتيةُ؛ لأنَّ كلمةَ (بنية) في أصلها تحملُ معنى المجموعِ والكلِّ المؤلَّفِ من ظواهرَ متماسكةٍ، يتوقفُ كلٌّ منها على ما عداه، ويتحددُ من خلالِ علاقته بما عداه .

---

(١) : انظر: ابن منظور، العلاّمة أبي الفضل جمال الدين، لسان العرب، المجلد التاسع، ط١، دار صادر للنشر، بيروت، و إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ج١، ص ٧٢، و زكريا إبراهيم، مشكلة البنية، دار مصر للطباعة، د.ط، د.ت، ص ٣٢، و عبد الوهاب جعفر، البنيوية بين العلم والفلسفة، دار المعارف، مصر، د.ط، ١٩٨٩م، ص ٨، و مصطفى السعدني، المدخل اللغوي في نقد الشعر قراءة بنيوية، منشأة المعارف، مصر، د.ط، د.ت، ص ١١ .

ثانيًا : الدلالة الاصطلاحية .

لقد واجه تحديدَ مصطلحِ البنيةِ مجموعةٌ من الاختلافاتِ ناجمةً عن تمظهرِها وتجليها في أشكالٍ متنوعةٍ لا تسمح بتقديمِ قاسمٍ مشتركٍ؛ لذا فإن جان بياجه ارتأى في كتابه (البنيوية) أن إعطاء تعريف موحد للبنية رهينٌ بالتمييز "بين الفكرة المثالية الإيجابية التي تُغطي مفهوم البنية في الصراعات أو في آفاقٍ مختلفةِ أنواعِ البنياتِ، والنوايا النقديةِ التي رافقتْ نشوءَ وتطورَ كلٍّ واحدةٍ منها مقابلَ التياراتِ القائمةِ في مختلفِ التعاليم" .

فجان بياجه يقدم لنا تعريفًا للبنية[1] باعتبارها نسقًا[2] من التحولات :" يحتوي على قوانينهِ الخاصةِ ، علمًا بأنَّ من شأنِ هذا النسقِ أن يظلَّ قائمًا ويزدادَ ثراءً بفضلِ الدور الذي تقومُ به هذه التحولاتُ نفسُها ، دون أن يكونَ من شأنِ هذه التحولات أن تخرجَ عن حدودِ ذلك النسقِ أو أن تستعينَ بعناصرَ خارجية ، وبإيجاز فالبنيةُ تتألفُ من ثلاثِ خصائصَ: هي الكليةُ والتحولاتُ والضبط الذاتي"[3] .

إذن نلاحظ مما سبق أن جان بياجه لا يُعرِّف البنيويةَ بالسلبِ، أي بما تنتقده البنيويةُ؛ لأنه يختلف من فرعٍ إلى فرعٍ في العلومِ الحقةِ والانسانيةِ، فهو يُفرّقُ في تعريفهِ للبنيةِ بين ما تنتقده وما تهدف إليه .

---

(١) : حول تعريف جان بياجه للبينة وخصائصها والتي سنشرحها بالتفصيل بعد ذلك يراجع : جان بياجه، البنيوية، ترجمة: عارف منيمنه وبشير أوبري، منشورات عويدات، بيروت، ط٤ ، ١٩٨٥م، ص ٨، و زكريا إبراهيم، المرجع السابق، ص ٣، وصلاح فضل، النظرية البنائية في النقد الأدبي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٢ ، ١٩٨٠م، ص ١٨٧- ١٨٨ ، و عز الدين المناصرة، علم الشعريات (قراءة مونتاجية في أدبية الأدب)، دار مجلاوي، عمان، ط١ ، ٢٠٠٧م، ص ٤٧٥- ٤٧٦ .

(٢) : النسق في اللغة : هو ما كان على نظامٍ واحدٍ من كل شيء، ويُقال نَسَقَ الشيء: نَظَمه. وانتسقت الأشياء، انتظم بعضها إلى بعض. (راجع: المعجم الوسيط)، والنسق عن البنيويين: هو نظام ينطوي على استقلال ذاتي، يُشكِّل كُلاً موحّدًا. انظر: إديث كريزويل، عصر البنيوية، ترجمة: جابر عصفور، (مسرد المصطلحات، ص ٤١٥) . كما وضح روبرت شولز مسألة تركيز البنيوي على النسق، انظر: روبرت شولز، البنيوية في الأدب، ترجمة: حنا عبود، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٧٧م .

(٣) : انظر: جان بياجه، المرجع السابق، ص ٨ .

ولـذلك نلحـظ أنـه يركـز في تعريفـهِ للبنيـةِ علـى الهـدفِ الأمثـلِ الـذي يوحـدُ مختلـفَ فـروعِ المعرفةِ في تحديد البنيةِ باعتبارها سعيًا وراءَ تحقيقِ معقوليةٍ كامنةٍ، عن طريقِ تكوينِ بنـاءاتٍ مكتفيةٍ بنفسِها، لا تحتاج من أجلِ بلوغِها إلى العناصر الخارجيةِ .

كما نلحظ أنَّ التعريفَ السابقَ يتضمنُ جملةً من السّماتِ المميزةِ[1] فالبنيـةُ أولاً نسقٌ من التحولاتِ الخارجيةِ، وثانيًا لا يحتاجُ هـذا النسقُ لأي عنصرٍ خارجيٍّ، فهو يتطورُ ويتوسعُ من الداخلِ، مما يضمنُ للبنيةِ استقلالاً ويسمحُ للباحثِ بتعقلِ هذه البنيةِ .

أمـا عـن خصـائصِ البنيـةِ الـتي أشـارَ إليهـا جـان بياجـه في تعريفـهِ فهـي ثـلاثُ خصـائصَ كالتالي :

(١) ـ الكلية أو الشمول :

وتُعـني هـذه السـمةُ خضـوعَ العناصـرِ الـتي تُشـكِّل البنيـةَ لقـوانينَ تُميّـزُ المجموعـةَ كمجموعةٍ، أو الكلَّ ككلٍّ واحد .

ومن هذه الخاصيةِ تنطلقُ البنيويةُ في نقدِها للأدبِ من المسلَّمةِ القائلةِ بأنَّ البنيـةَ تكتفي بذاتها، فالنصُّ الأدبيُّ مثلاً هو بنيـةٌ تتكـونُ من عناصـرَ، وهـذه العناصـرُ تخضـعُ لقـوانين تركيبيةٍ تتعدى دورَها من حيثُ هي روابطُ تراكميةٌ تشدُّ أجزاءَ الكيـانِ الأدبيّ بعضَه إلى بعضٍ، فهي تُضفي على الكلِّ خصائصَ مغايرةً لخصائصِ العناصرِ التي يتألف منها البعض[2]
.

(١) : إلى جانب تلك السمات أو الخصائص التي يحتويها التعريف، فإنه يتضمن كذلك كما يقول جابر عصفور مجموعة من المُسلّمات. راجع: أحمد العشيري، الاتجاهات النقدية والأدبية الحديثة (دليل القارئ العام)، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ٥٣ـ ٥٤ .

(٢) : انظر: إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٣م، ص ٩٥ و ترنس هوكز، البنيوية وعلم الإشارة، ترجمة: مجيد الماشطة، مراجعة: ناصر حلاوي، ط١، 1986 ، ص ١٣، و ديفيد بشنبدر، نظرية الأدب المعاصر=== وقراء ة

كما إن هذه الخاصية تُبرزُ لنا أنَّ البنيةَ لا تتألفُ من عناصرَ خارجيةٍ تراكميةٍ مستقلةٍ عن الكلِّ، بل هي تتكونُ من عناصرَ خارجيةٍ خاضعةٍ للقوانينِ المميزةِ للنسقِ، وليس المهمُّ في النسق العنصرُ أو الكلُّ، بل العلاقاتُ القائمةُ بين هذه العناصرِ .

(٢) ـ التحولات :

أما عن خاصيةِ التحولاتِ، فإنها توضحُ القانونَ الداخليَّ للتغيراتِ داخلَ البنيةِ التي لا يمكنُ أن تظلَ في حالةِ ثباتٍ؛ لأنها دائمةُ التحولِ .

وتأكيدًا لذلك ترى البنيويةُ أنَّ كلَّ نصٍّ يحتوي ضمنيًا على نشاطِ داخلي، يجعل من كلِّ عنصرٍ فيه عُنصرًا بانيًا لغيرهِ ومبنيًّا في الوقت ذاته، ولهذا فقد أخذت البنيويةُ هذه السمةَ بعينِ الاعتبارِ لتُحاصرَ تحوّلَ البنيةِ وما قد يعتريها من بعض التغيير[1] .

((كما إن هذه السمةَ تُعبِّرُ عن حقيقةٍ هامةٍ في البنيويةِ، وهي أنَّ البنيةَ لا يمكن أن تظلَّ في حالةِ سكونٍ مطلق، بل هي دائمًا تقبلُ من التغيّراتِ ما يتضمنُ مع الحاجاتِ المحددةِ من قِبل علاقاتِ النسقِ أو تعارضاته، فالأفكارُ التي يحتويها النصُ الأدبيُ مثلاً تُصبح بموجبِ هذا التحولِ سببًا لبزوغِ أفكارٍ جديدة))[2] .

(٣) ـ التنظيم الذاتي :

أما عن خاصيةِ التنظيمِ الذاتي، فإنها تمكّنُ البنيةَ من تنظيمِ نفسِها كي تُحافظَ على وَحدتِها واستمراريتِها؛ وذلك بخضوعِها لقوانينِ الكلِّ .

الشعر، ترجمة: عبد المقصود عبد الكريم، سلسلة الألف كتاب الثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٦، ص٦١ وما بعدها .

(١) : انظر: إبراهيم محمود خليل، المرجع السابق، ص ٩٦، و محمود أحمد العشيري، المرجع السابق، ص ٥٧ .

(٢) المصدر نفسه .

وبهذا فيحقق لها نوعًا من " الانقلاب الذاتي " ونُعني به أن تحولاتِها الداخليةَ لا تقودُ إلى أبعدَ من حدودها ، وإنّما تُولّدُ دائمًا عناصرَ تنتمي إلى البنيةِ نفسِها ، وعلى الرغم من انغلاقها هذا لا يُعني أن تندرج ضمن بنيةٍ أخرى أوسعَ منها ، دون أن تفقد خواصها الذاتية[١] .

ونريد أن نضرِبَ مثالاً على ما سبق من خصائصِ البنية ، مثلاً نقابة المهندسين بما أنها تجمّعٌ خاص لأشخاصٍ بأعينهم فهي تمثل بنية ، هذه البنية تسمح بتنوعِ الأفرادِ داخلَها بين ذكورٍ وإناثٍ، بين شبابٍ وشيوخٍ، بين متزوجينَ وغيرِ متزوجين، تنوعٌ لا يعرفُ الفوارقَ الطبقية أو الاختلافاتِ العقائديةَ ، ولكنها في الوقتِ نفسهِ لا تسمح بدخول من لم يحمل مؤهلاً معينًا من الدخول فيها .

كما يوجد داخلَ هذه البنيةِ أي النقابة قوانينُ تُطبقُّ على عناصرِها ، ويوجدُ بين هذه العناصرِ صفاتٌ وعلاقاتٌ مشتركةٌ ، يركزُ عيها الناقدُ أو الدارسُ البنيويُّ .

((وقد اختلف الدارسونَ والنقادُ في تبيانِ مفهومِ البنيويةِ كما ذكرنا سابقًا ، حتى البنيويون أنفسُهم نجدُهم يوردون لها تعريفاتٍ مختلفةً))[٢] ، وهي في معناها الواسع "طريقةُ بحثٍ في الواقعِ، ليس في الأشياءِ الفرديةِ بل في العلاقاتِ بينَها" وهذا ما ذهب إليه جان بياجه وغيره .

ويرى (ليفي شتراوس) أن "البنيةَ مجردُ طريقةٍ أو منهجٍ يمكن تطبيقُها في أي نوعٍ من الدراسات تمامًا كما هي بالنسبةِ للتحليلِ البنيويِّ المستخدمِ في الدراساتِ والعلومِ الأخرى"[٣] .

فشتراوس يحددُ البنيةَ بأنها "نسقٌ يتألفُ من عناصرَ يكونُ من شأنِ أيِّ تحولٍ يعرضُ للواحدِ منها أن يُحدثَ تحولاً في باقي العناصرِ الأخرى"[٤] .

---

(١) : انظر: إبراهيم محمود خليل، المرجع السابق، ص ٩٦- ٩٧ .

(٢) إبراهيم السعافين و عبد الله الخياص، مناهج تحليل النص الأدبي، منشورات جامعة القدس المفتوحة، ط١ ، ١٩٩٣م، ص ٦٨- ٦٩ .

(٣) : انظر: عز الدين المناصرة، المرجع السابق، ص ٥٤٠ .

(٤) : المصدر نفسه ، ص ٥٤٠ وما بعدها .

ونلاحظ من خلالِ التعريفِ السابقِ أنه يتجلى وراءَ الظواهرِ المختلفةِ شيء مشترك يجمع بينها ، وهو تلك العلاقاتُ الثابتةُ التجريبيةُ ، لذلك ينبغي تبسيطُ هذه الظواهرِ من خلال إدراكِ العلاقاتِ؛ لأن هذه العلاقاتِ أبسطُ من الأشياءِ نفسِها في تعقيدِها وتشتتها .

ويرى (لوسيان سيف) أنَّ مفهومَ البنيةِ في أوسع معانيه يشير إلى ((نظامٍ من علاقاتٍ داخليةٍ ثابتةٍ، يُحدد السماتِ الجوهريةَ لأيّ كيان، ويشكّل كلاً متكاملاً لا يمكن اختزاله إلى مجرّدِ حاصلِ مجموعِ عناصره، وبكلماتٍ أخرى يشير إلى نظامٍ يَحكُم هذه العناصرَ فيما يتعلّق بكيفيةِ وجودِها وقوانينِ تطوّرِها))[1] .

ولعلّ التعريفَ الأخيرَ يقودُنا إلى العلاقةِ بين الجزءِ والكلِّ في نظرِ البنيويين، فَهم يرون أنَّ العلاقةَ بين الجزءِ والكلِّ ليست مجرّدَ اجتماعِ مجموعةٍ من العناصر المستقلةِ، بل إن هذه العناصرَ تخضعُ لقوانينَ تتحكّمُ في بناءِ العلاقةِ التي تجمعُ الأجزاءَ، وتُضفي هذه القوانينُ على البنيةِ سماتٍ كليّةً تختلفُ عن سماتِ العناصرِ كلٌّ منها على حدةٍ، كما تتميزُ عن مجموعِ هذه العناصر .

ويرى ليونارد جاكسون أن البنيويةَ هي ((القيامُ بدراسةِ ظواهرَ مختلفةٍ كالمجتمعاتِ، والعقولِ، واللغاتِ، والأساطيرِ، بوصفِ كلٍّ منها نظامًا تامًا ، أو كلاً مترابطًا ، أي بوصفِها بنياتٍ، فتتمُ دراستُها من حيثُ أنساقُ ترابطها الداخليةُ ، لا من حيثُ هي مجوعاتٌ من الوحداتِ أو العناصرِ المنعزلةِ، ولا من حيثُ تعاقبُها التاريخي))[2]

(١) عز الدين المناصرة ، ص ٥٤٢ وما بعدها .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٤٢ .

المبحث الأول

المنهج البنيوي (الأصول، الروافد التاريخية)

لابدّ من الإشارة إلى أن المنهج البنيوي ظهر باعتباره وسيلة علميّة للتعامل مع الأدب الذي خضع في الفترات السابقة لتعاملات متباينة، فقد كان المنهج التاريخي وكذلك المنهج النفسي الذين كانا سائدين لدى دارسي الأدب بعيدين عن النص الأدبي ذاته لكونهما منهجان خارجيان يدرسان الظاهرة الأدبية من خارجها ويفسران العمل الأدبي؛ أما برده إلى الشروط التاريخية أو إلى العوامل الباطنية للمؤلف، وذلك أن السياق الفكري الذي ترعرعت فيه هذه المناهج سادت فيه النزعة التاريخية، حيث كانت تُفسّر كلّ الظواهر من خلال التاريخ، فالسابق يتحكم دائماً في اللاّحق. وقد اتفق مفكرون حول هذه النقطة حتى وإن كانوا مختلفين فيما بينهم في مسائل أساسية، فقد قدم «داروين» تفسيراً لتطور الأحياء من منظور تاريخي ونقل «سبنسر» نظرية داروين من المجال البيولوجي إلى جميع المجالات الاجتماعية والروحية والعلمية والمادية، واتّخذ «نتيشه» من فكرة التاريخ أساساً لفلسفة كاملة تؤمن بأنّ ثمة تاريخاً للأخلاق والمعارف والقيم، وبأنّ حاضر هذه المعاني لا يمكن فهمه إلاّ من خلال ماضيها وأنّ الإنسان كائن تاريخي في صميمه، وطبق «كارل ماركس» فكرة التاريخ على العلاقات الإنتاجية بين البشر في مراحلها المختلفة. ويمكن القول إنّ العلوم الطبيعية ذاتها كانت تضفي على فكرة السببية -وهي الفكرة الرئيسية فيها - طابعاً تاريخياً أو زمنياً، وأصبح النقاد الفنيّون والأدبيون يفسرون عمل الكاتب من خلال تاريخ حياته ويبنون نظرتهم إلى الفنان على وقائع نفسية أو اجتماعية أو سياسيّة لها موقع معيّن في التاريخ. أي أنّ التاريخ يمثل مُعطىً لا يمكن الاستغناء عنه باعتباره متغلغلا في كلّ شيء.[1]

بعد ظهور البنيوية كمنهج بارز أصبح المنهج البنيوي أقرب المناهج إلى الأدب؛ لأنه يجمع بين الإبداع وخاصيته الأولى وهي اللغة في بوتقةٍ ثقافيةٍ واحدة، أي يقيس الأدب بآليات اللسانيات بقصدِ تحديدِ بُنيات الأثر الأدبي وإبراز قواعده وأبنيته الشكلية والخطابية .

---

[1] ينظر: صلاح فضل ، البنيوية في النقد الادبي،ط١،دار الشرق - القاهرة،١٩٩٨،ص١٢٠.

فظهــرت البنيويــة في بدايــة الأمــر في علــم اللغــة [1]، وبــرزت عنــد فرديانــد دي سوســير الــذي يعــد الرائــد الأول للبنيويــة اللغويــة عنــدما طبــق المــنهج البنيــوي في دراســته للغــة، واكتشــاف مفهــوم البنيــة في علــم اللغــة دفــع بــارت وتــودوروف وغيرهمــا إلى الكشــف عــن عناصر النظام في الأدب[2] .

ومــن المعــروف ان الاب الروحــي للبنيويــة الوصــفية هــو العــالم السويســري فرديانــد دي سوســير، حيــث أحــدثت محاضــراته الــتي نشــراها طالبــاه بعــد وفاتــه بــثلاث ســنوات همــا (ألربــت و سيشــاي) فجــاء منهجــه البنيــوي الوصــفي ردا علــى الدراســات الســائدة آنــذاك (الدراســات التاريخيــة)، فجــاء هــذا المــنهج محــاولا ان يجعــل اللغــة علميــة عقليــة لهــا أســس ومبــادئ ممنهجــة ، فاحــدث ثــورة علميــة هائلــة في ميــادين البحــث اللغوي؛لــذلك عــدت مرحلــة مابعــد ١٩١٦م مرحلــة تحــول بفضــل المحاضــرات الــتي نشــرت وعــبرت عــن أفكــاره، وسميــت فيمــا بعــد ب(محاضــرات في اللســانيات العامــة) او (محاضــرات في علــم اللغــة العــام) وترجمــت الى العربيــة ترجمــات عــدة مــن ابزهــا ترجمــة صــالح القرمــادي وترجمة يوئيل يوسف عزيز.[3]

((لقــد شــكلت أفكــار سوســير بــروز مفــاهيم متعــددة ومــن ابرزهــا مفهــوم النســق او النظــام ، وبعــدها مفهــوم القيمــة، وان مفهــوم القيمــة كمــا يقــول سوســير: ان لا قيمــة للكلمــة اذا وجــدت خــارج الســياق الــتي جــاءت مــن اجلــه، أي اكيــد علــى أهميــة العلاقــة التي تتضح في الاطار العام، وهذا المفهوم اخذه من العلم الاقتصادي.))[4]

---

(١) : إن مفهوم اللغة عند البنيويين تُعني: نظامًا من العناصر التي لا دلالة بالنسبة للباحث، ولذا كان على الباحث أو الدارس نبذ تأويل العناصر اللغوية باستعمال المعنى أو الوظيفة في الجملة على نحو المنطق اليوناني من فعل وفاعل ومفعول به، وما إلى ذلك من وظائف في الجملة، ولكن من خلال موقعها في شبكة العلاقات الأفقية والعمودية .

(٢) : انظر: شكري الماضي، في نظرية الأدب، دار الحداثة، بيروت، ط١، ١٩٨٦م، ص ١٩٠ .

(٣) علم اللغة العام، فرديناند دي سوسير، ترجمة يوئيل يوسف عزيز، مراجعة د.مالك المطلب، دار آفاق عربية ، بغداد - ١٩٨٥م: ٣٧ومابعدها

(٤) محاضرات في اللسانيات، سلسلة محاضرات على وفق المنهج المقرر، د. خالدخليل،د.نعمة دهش ، مكتبة نور الحسن،بغداد -٢٠١٥م،ص١٨٥.

((إنّ الهدفَ الذي جاءت لاجله البنيوية هو دراسة اللغة - كما يقول سوسير - لذاتها ومن اجل ذاتها ، أي كل جانب يتعلق باللغة من الناحية الصوتية والصرفية والنحوية والاشتقاقية... وهذا الذي أدى بسوسير جعل العوامل اتاريخية والثقافية المحيطة اللغة عوامل ثانوية وغير أساسية ، ومثل هذا الامر بلعبة الشطرنج حيث ان معرفة أصول هذه اللعبة والاور التي أدت الى بروزها ووصولها الينا لا يهم بقدر مايهم بوضيعة اللاعب في داخل هذه المساحة التي تمثل اللعبة.[1]

ان اللغة عند سوسير نظام من الإشارات، فاللساني يهتم المدلول (الصورة التي كونها الدال) اكثر مما يهتم بالمدلول(الصورة الصوتية السمعية) وكما يقول ابن جني أن اللغة((أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم)[2]

إن طبيعة الإشارة اللغوية لدى سوسير اعتباطية، يعني انه لاتوجد مناسبة بين الدال والمدلول، وهوبذلك اقصى المرجع الخارجي للاشياء ، وسقطت من نظريته الأشياء الغيبية واشياء التفكير العقلي، لذلك عد مثلبة على منهجه.يقول الدكتور خالد خليل: (من مميزات شقي العلامة اللغوية لدى سوسير ان الدال والمدلول لا علاقة طبيعية ينهما أي لا توجد بينهما مناسبة ماعدا المحكيات واصوات الطبيعة وعلامات التعجب، وان اختلاف التسميات في اللغات واتحاد المشار اليه هو دليل على شقي العلاقة بين الدال والمدلول. غير ان تلك العلاقة اصحبت علاقة عرفية بين الدال والمدلول؛ وذلك بفضل التعارف التي شاع بين الناس على تلكم المصطلحات، واصبحا كوجه العملة الواحدة لاينفصلان)[3] وأفاد منه دارسو الأدب كل الإفادة في تحليل العمل الأدبي، وذلك في تطوير علم الدلالة اللغوي المكون من المستوى الصوتي والدلالة اللذان يشكلان الدلالة النهائية للتركيب؛ لأن قواعد اللغة غير كافية لفهم التركيب، وفي هذا السياق تضرب لنا نبيلة إبراهيم مثالاً **الجملة الفعلية** : فتقول "ضرب علي حسامًا" فحسام هنا هو المفعول به الذي وقع عليه الفعل، وفي جملة "ضُرب حسامُ" فحسام هنا نائب فاعل وهو مفعول به في المعنى، وفي جملة "حسام

---

[1] ينظر: علم اللغة الحديث، ميشيال زكريا ، المبادئ والاعلام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان،ط١٩٨٣،٢،ص٢٢٥.

[2] الخصائص ، ابن جني،تح محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة،ج١،ص١١.

[3] محاضرات في اللسانيات،ص١٦٤.

ضربه علي" فيكون حسام مبتدأ وهو مفعول به، بمعنى أن حسامًا لم يتغير في كل التراكيب من حيث أنه وقع عليه الضرب، أي أنه يضل مفعولاً به، ومن هنا أفادت دراسات الأدب في النظر إلى البطولة في القصة فقد يكون البطل فاعلاً أو مفعولاً به، حرّك وعمل شيئًا أم وقعت عليه أعمال وعبّر عنها[1] .

كان فرديناند دي سوسير مساهمًا كبيرًا في تطوير العديد من نواحي اللسانيات في القرن العشرين، فكأن أول من أعتبر اللسانيات كفرع من علم أشمل يدرس الإشارات الصوتية حيث اقترح تسميته بالسيميوتيك أو علم الإشارات[2] .

وهنالك من النقاد العرب من يرى أن البنيوية لها جذور عند نقادنا القدامى[3]، فعبد القاهر الجرجاني هو صاحب نظرية النظم، وهو يرى أن ليس للفظة في ذاتِها ـ لا في جرسِها ولا في دلالتِها ـ بين الألفاظ والمعاني والمعاني هي المقصودة في إحداث النظم والتأليف[4] .

ويعقب جودت الركابي بعد هذا الحديث بقوله: "ما رأيكم في هذا الكلام الذي قيل قبل قرون سحيقة على لسان عبقري من عباقرة لغتنا، وأية نظرة صائبة في بيان علاقة اللفظ بالمعنى أو بما يسميه نقادنا العرب بـ (السياق)"[5] .

إذن فالأجزاء لا معنى لها دون هذه النظرة العلائقية التي يحكمها النظم، فعلينا أن نُدرك هذه العلاقة في النص لندرك قيمته، فقيمة النص تكمن في قيمة علاقة عناصره وأجزاءه ببعضها البعض وترابطها، والخصائص التي تضفي على تلك العلاقات ككل.

---

(١) : انظر: نبيلة إبراهيم، فن القص في النظرية والتطبيق، مكتبة غريب، القاهرة، الطبعة الأولى، د.ت . ،ص ٢٧ .

(٢) : انظر: إيهاب مصطفى، مقال بعنوان: البنيوية، مجلة أفق الثقافية .

(٣) : وذلك انطلاقًا من أن البنيوية تعوّل على صياغة المعنى، وهو تعويل عَرفته العرب منذ ابن المقفع (ت ١٤٢هـ)، الذي شبّه المعنى بالذهب والأسلوب الصياغة، وقد تبنى الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ)، رأي ابن المقفع فيما بعد، وبلور استنادًا إليه نظرية النظم، ثم جاء عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ)، كما ذكرتُ في المتن وقعّد نظرية النظم وعزّزها بالشواهد .

(٤) : انظر : جودت الركابي، مقال بعنوان: أدبنا والبنيوية، مجلة الموقف الأدبي، العدد ٢٢٠ . ٢٢١، آب ١٩٨٩ .

(٣) : المصدر نفسه .

فنخلص مما سبق بأن أوّل من طبق البنيوية اللسانية على النص الأدبي في الثقافة الغربية نذكر كلا من رومان جاكبسون وكلود ليفي شتراوس على قصيدة (القطط) للشاعر الفرنسي بودلير في منتصف الخمسينات، وبعد ذلك طُبقت البنيوية على السرد مع رولان بارت وكلود بريموند و تودوروف، كما ستتوسع ليدرس الأسلوب بنيويًا وإحصائيا مع بيير غيرو دون أن ننسى التطبيقات البنيوية على السينما والتشكيل والسينما والموسيقا والفنون والخطابات الأخرى .

أما بالنسبةِ إلى استقبالها في الساحة العربية فجاء في أواخر الستينات وبداية السبعينات وذلك عبر الثقافة والترجمة والتبادل الثقافي والتعلم في جامعات أوروبا ، وكانت بداية تمظهر البنيوية في عالمنا العربي في شكل كتب مترجمة ومؤلفات تعريفية للبنيوية .

كما كان تطورها في البلاد العربية تطورًا غير متكافئ فلم يكن النقاد مطلعين في كثيرٍ من الأحيان على ما يقوم به إخوتهم في الأقطار الأخرى، ونتيجة لذلك تعددت مشارب أخذهم عند النقد الغربي فبعضهم يرجع إلى ترجمات انجليزية ككمال أبو ديب، أو اسبانية مثل صلاح فضل، والبعض إلى النصوص الفرنسية وهو الأكثر[1] .

---

(١) : انظر : محمد ولد بوعليبة، النقد الغربي والنقد العربي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م، ص ٥٨ .

المبحث الثاني

(أعلام المنهج البنيوي)

أولا : دي فرديناند سوسير .

فردينـان دي سوسـير Ferdinand de Saussure (مـن ٢٦ نـوفمبر ١٨٥٧ إلى ٢٢ فبرايـر ١٩١٣) عـالم لغويـات سويسـري يعتـبر الأب والمؤسـس لمدرسـة البنيويـة في اللسانيات في القرن العشرين.

فردينـان دي سوسـير مـن أشـهر علمـاء اللغـة في العصـر الحـديث حيـث اتجـه بـتفكيره نحـو دراسـة اللغـات دراسـة وصـفية باعتبـار اللغـة ظـاهرة اجتماعيـة وكانـت اللغـات تـدرس دراسـة تاريخيـة ، وكـان السـبب في هـذا التحـول الخطـير في دراسـة اللغـة هو اكتشاف اللغة السنسكريتية.

ولـد دي سوسـير في جنيـف ، وكـان مسـاهما كـبيرا في تطـوير العديـد مـن نـواحي اللسـانيات في القـرن العشـرين. كـان أول مـن أعتـبر اللسـانيات كفـرع مـن علـم أشمـل يـدرس الإشـارات الصـوتية أقـترح دي سوسـير تسـميته semiology ويعـرف حاليـا بالسيميوتيك أو علم الإشارات.[١]

جـاء سوسـير مغـيرا لـبعض المفـاهيم في اللسـانيات الحديثـة ومـن المعـروف ان مـنهج سوسـير هـو البنيويـة الوصـفية الـتي جـاءت ردا علـى المـنهج التـاريخي وسـنتاول تباعـا أسـس ذلك المنهج.

ان اهـم مـايميز اللسـانيات الحديثـة هـي انهـا تنظـر الى اللغـة نظـرة وصـفية تعتمـد علـى الملاحظـة المباشـرة للظـواهر الموجـودة بالفعـل.ولا تهـدف مـن ذلـك وضـع قواعـد علـى المـتكلمين باللغـة. ويعـود الفضـل في ذلـك الى العـالم "فردينانـد دي سوسـير" فهـو يعـني بوصـف اللغـة مـن حيـث هـي تنظـيم قـائم بذاتـه ، وهـذا مـا قـرره دي سوسـير أن موضـوع الدراسـة اللغويـة الوحيـد والحقيقـي هـو اللغـة الـتي ينظـر اليهـا كـواقـع قـائم بذاتـه يبحـث فيهـا لـذاتها. وابتعـد عـن النظـر في اللغـات مـن وجـه نظـر تاريخـة مقارنـة.وهناك نقـد

[١] الموسوعة الحرة، ويكيبيديا.

حقيقـي يوجـه الى الدراسـات الوصـفية للغـة ، وهـو خـاص بكثـرة مصـطلحاتها وتعـددها بشـكل ملحـوظ. وهنـاك تفسـير لهـذا – ولكنـه لايعـد تبريـرا - يتمثـل في محاولـة علمـاء اللغـة الشـبان المتحمسـين أن يسـدوا حاجـات هـذا العلـم الوليـد علـى وجـه السـرعة. ومجـاراة كـل هـذه المصـطلحات الجديـدة الـتي يسـتعملها علمـاء اللغـة الوصـفيون، والـتي قـد تصـل الى بضـع مصـطلحات للظـاهرة الواحـدة تحـت السـعي لوضـع – لـيس فقـط قائمـة بالمصـطلحات او معجمـا لغويـا – ولكـن دائـرة معـارف كاملـة . وقـد بـذلت محـاولات سـابقة لتـأليف معـاجم لمصـطلحات علـم اللغـة مثـل معجـم (marouzeau) ، أو المعجـم الـذي وضـعه مؤلـف هـذا الكتـاب ولكـن هـذه المعـاجم أصـبحت –بسـرعة فائقة – مختلفة في اقل من عشر سنوات ١

ثانيًا : رومان جاكبسون[٢] .

يعد جاكبسون الرجل المثال الذي فعل أكثر من غيره للحفاظ على دعوى المناهج اللغوية البنيوية في دراسة الأدب، والاعتماد على مقولات الألسُنيّة لوصف لغة النصوص الأدبية وإظهار خصائصها وتوسيع تلك الخصائص وإعادة تنظيمها .

وتنطلق مقولاته من أن الأدب في مقامه الأول لغة، وأن البنيوية منهج يتخذ من علم اللغة أساسًا له؛ لذلك يعمد إلى تطوير ثنائيات (التأليف والاختيار)، وينصب عمله بشدة في البحثِ عن تحقق الوظيفة الشعرية[٣] في اللغة داخل الأدب .

---

(١) أسس علم اللغة، ماريو باي ، ترجمة احمد مختار عمر ،عالم الكتب ، ص٢٥٦.

(٢) : رومان جاكبسون ولد بموسكو سنة ١٨٩٦واهتم منذ سنواته الأولى باللغة واللهجات والفولكلور فاطلع على أعمال سوسير وهوسيرل، وفي سنة ١٩١٥ أسس بمعية طلاب ستة " النادي اللساني بموسكو " وعنه تولدت مدرسة الشكليين الروس، وفي سنة ١٩٢٠ انتقل جاكبسون إلى تشيكو سلوفاكيا وأعد الدكتوراه سنة ١٩٣٠ بعد أن أسهم في تأسيس " النادي اللساني ببراغ " سنة ١٩٢٠، وهو النادي الذي احتضن مخاض المناهج البنيوية في صلب البحوث الإنشائية والصرفية وفي بحوث وظائف الأصوات.

(٣) : وبالتالي فهو يطرح سؤالاً وهو: ما الذي يجعل من رسالة لفظية أثراً فنياً ؟ وهذا نفسه هو موضوع الشعرية، راجع : رومان جاكبسون، قضايا الشعرية، ترجمة: محمد الولي و مبارك حنوز، المعرفة الأدبية، دار توبقال للنشر، ١٩٨٨م، ص ٢٤ .

ولهذا كانت من الأمور المهمة التي ظهرت عند جاكبسون، بأنه يدرس علاقة اللسانيات كما ظهرت عند دي سوسير بالشعرية[1]، فيقول أن موضوع الشعرية تهتم بقضايا البنية اللسانية، وبما أن اللسانيات هي العلم الشامل للبنيات اللسانية، فإنه يمكن اعتبار الشعرية جزءًا لا يتجزأ من اللسانيات[2].

ولعل هذا يقودنا إلى أن جاكبسون فعلاً هو مؤسس البنيوية الأدبية، كما حاول أن يدرسها في ضوء الشعرية وله دراسات وأبحاث على ذلك[3]، ومما يؤكد ما ذهبنا إليه العالم ليونارد جاكسون حيث يرى أن جاكبسون هو مؤسس البنيوية الأدبية في أطروحته عام ١٩٢٨، ويورد لنا جاكسون نصًا لجاكبسون يعود إلى فترة حلقة براغ، يقول فيه: "إذا كان علينا أن نحدد الفكرة التي تقود العلم الجمالي، بتجلياته الأشدّ تنوعًا، فمن الصعب أن نقع على خيار أنسب من البنيوية ...الخ"[4].

---

(١) : حتى أنه قد حاول أن يضع قانونًا عامًا للغة الشعرية، حيث قال بأن هذه اللغة تتميز "بسقوط المحور الرأسي على المحور الأفقي" وهذه الفكرة مرجع من المراجع التي تتحدث عنها البنيوية، ومعناها أن العلاقة تُصبح في النص المقروء، وأن جاكبسون من هذا التمييز طبقه على العيب الكلامي والمسمى بالحُبسة: اضطراب أو خلل في التعبير بالكلام أو الكتابة، أو في فهم معنى الكلمات المنطوق بها، أو في تسمية الأشياء، أو الحفاظ على القواعد النحوية المستعملة في الحديث أو الكتابة. وقد عالجها جاكبسون معالجة عمقت النظرية اللغوية عند دي سوسير، فميز بين البعدين الأفقي والرأسي وهذا يقودنا إلى ثنائية سوير في (اللغة . الكلام)، وقال بأن الحُبسة تمثل في اعتلالين: اعتلال (المشابهة) وتتمثل في عجز المصاب عن استبدال العناصر بغيرها، واعتلال (المجاورة) تتمثل في عجز المصاب عن ضم العناصر اللغوية في مساق متجاورة، حيث نجد أن اعتلال المشابهة يساوي البعد الرأسي، بينما اعتلال المجاورة يساوي البعد الأفقي . راجع: رامان سلدن، المرجع السابق، ص ١٢٩، و شكري عياد، المرجع السابق، ص ٩٩ وما بعدها .

(٢) : انظر: عز الدين المناصرة، علم الشعريات، ص ٢٨١ .

(٣) : ومثال ذلك فقد درس قصيدة ماياكوفسكي بناءً على ذلك، وله كتاب بعنوان (الشعر التشكيلي مقارنًا بالروسي)، ذلك الكتاب الذي وضعه في حلقة براغ ودرس فيه الشعر من خلال القيم الصوتية ومدى ارتباطها بالمعنى، مما يعد ثورة في علم الأصوات، واتضحت الفروق اللغوية بين العناصر الدالة== ==وغير الدالة، للاستزادة راجع: صلاح فضل، المرجع السابق، ص ١٠٩ . ١١٠، و عز الدين المناصرة، المرجع السابق، ص ٢٨٣، حيث عقد فصل خاص بذلك .

(٤) : عز الدين المناصرة، المرجع السابق، ص ٥٤٢ .

ومن إسهاماته أيضًا في ذلك المجال، حيث وضع نظرية الاتصال والتي مفادها أن أي كلام أو قول نتفحصه نجد فيه رسالة تنطلق من مرسل إلى متلقٍ (مرسل إليه)[1]، وهذه الرسالة هي سياق لا يمكن فَهمه إلا من خلال شيفره التماس اللغوي، وقد أثرت هذه النظرية في حركة النقد البنائي فيما بعد وخاصة عن شتراوس[2] .

ولا ننسى بأنه هو واضع علم الأصوات وهو تابعًا لعم اللغة، وذلك العلم الذي أضاف إلى علم اللغة البنيوي أبحاثًا جديدةً، حيث قالوا بأن علم الأصوات يؤكِّدُ نفس النظرية البنيوية من أن النسق الصوتي ليس مجموع من العناصر، ولكن ما يوجد بينها من علاقات[3] .

ثالثًا : كلود ليفي شتراوس[4] .

ومن أهم إسهاماته أنه نشر كتابه (الأبنية الأولية للقرابة) في باريس سنة ١٩٤٨م، حيث درس فيه عن علاقات المحارم التي افتتحت عصر البنائية، حيث حدد أن الهدف من دراسته هذه هو ليس معرفة المجتمعات في نفسها، وإنما اكتشاف كيفية اختلافها عن بعضها البعض، فمحورها إذن هو مثل علم اللغة هو القيم الأخلاقية[5] .

---

(١) : هذه العناصر التي أشار إليها جاكبسون، هي عناصر العملية الإبداعية حيث تتكون من ثلاث عناصر لا يمكن ذكر احدها دون ذكر الآخر، وهي : (المرسل، الرسالة، المرسل إلية) .

(٢) : انظر: روبرت شولز، المرجع السابق، ص ١٠٩ . ١١٠، و عز الدين المناصرة، المرجع السابق، ص ٢٨٢ .

(٣) : انظر: عدنان علي النحوي، الأسلوب والأسلوبية بين العلمانية والأدب الملتزم بالإسلام، دار النحوي للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٩٩٩م، ص ٤٥ .

(٤) : كلود ليفي شتراوس عالم أنثروبولوجيا ولد في بلجيكا عام ١٩٠٨، درس العلوم في مرحلة متأخرة، وبعد أن درس القانون لفترة قصيرة في جامعة باريس، لكنه حصل علي إجازة الفلسفة عام ١٩٣٢، ارتحل إلى البرازيل عام ١٩٣٤ مما أتاح له رحلات دراسة ميدانية في أدغال البرازيل خلال توليه منصب أستاذ الأنثروبولوجيا بجامعة سان بولو.

(٥) : انظر: صلاح فضل، المرجع السابق، ص ٢١٤ .

وهذا يقودنا إلى أن شتراوس قد اعتمد اعتمادًا واضحًا على فكرة تقابل اللغة والكلام التي نادى بها رائد البنيوية الأول، حيثُ أننا نحس أنه ينقل كلام دي سوسير عن نظام اللغة واصطلاحاته مباشرة إلى المجال الأنثروبولوجي والاجتماعي .

فليفي شتراوس يتحدث مثلاً عن الوحدة (سلوكًا كانت أو نظامًا اجتماعيًا أم وحدة لغوية)، التي تعد في حد ذاتها نظامًا مغلقًا ومتجانسًا من الإشارات، ثم تتجانس الوحدات من حيث إن كل إشارة أو مصطلح يكون موضوعًا لإشارة أخرى، ولا يكتشف مغزى هذه الإشارات إلا عندما تتحد داخل نظام كلي، وهذا الكلام كما نلاحظ يتفق مع فكرة نظام اللغة عند دي سوسير[١] .

وكما نلاحظه بأنه قد طبق المنهج الصوتي عند سوسير على دراسته الأنثروبولوجية فيرى أن علاقات القرابة مثلها مثل الحروف في الصوتيات في أنها عناصر للدلالة، كما أنه لا تكتسب دلالتها إلا بشرط أن تنخرط في نظم خاصة كالحروف تمامًا[٢] .

وهو بهذا يستلهم صرخة علم اللغة السوسيري في دراسة الأساطير والشعائر وأبنية القرابة، ويقدم كما يقول كللر: " أشمل وأروع نموذج للتحليل البنيوي ظهر حتى الآن"[٣].

وله كتاب آخر بعنوان (ميثولوجيات)، يعمد فيه إلى محاولةٍ لجمع أساطير[٤] قارات أمريكا الشمالية والجنوبية؛ بغرض إظهار علاقاتها وإثبات قواها الموحدة للعقل البشري ووحدة منتجاته[٥] .

---

(١) : انظر: نبيلة إبراهيم، المرجع السابق، ص ٣٣ .

(٢) : انظر: صلاح فضل، المرجع السابق، ص ٢١٨ .

(٣) : انظر: الشعرية البنيوية، جوناثان كللر، ترجمة : السيد إمام، دار شرقيات للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٠م، ص ٦٣ .

(٤) : ومن تلك الأساطير التي طبق عليها شتراوس منهجه البنائي (أسطورة أوديب)، للاستزادة راجع: صلاح فضل، المرجع السابق، ص ٢٣٨ .

(٥) : انظر: جوناثان كللر، المرجع السابق، ص ٦٣ .

المبحث الثالث

شروط النقد البنيوي

يقوم النقد البنيوي على تحليل النصوص، وذلك ليحلل هذه الأعمال وهو بذلك يحاول تفسير النص نفسه، دون أن يلجأ إلى ما يدور حول النص من تاريخية أو اجتماعية أو سياسية أو نفسية[١] .

وليس هذا التفسير يُعبِّر عن قصور الأدب في التعبير عن نفسهِ، ولكن هو اكتشاف لغة ثانية تختلف عن اللغة الأولى، أي اشتقاق أو توليد معنى معين اشتقاقًا من الشكل الذي هو الأثر الأدبي نفسه .

فأول شروط النقد هو اعتبار العمل كله دالاً، إذ إن أية قواعد نحوية لا تشرح جميع الجمل فهي ناقصة ولا يُكمِّلُ أيُّ نظامٍ للمعنى ووظيفته أن لم تعثر كل الكلمات فيه على وضعها ومكانها المفهوم، وإذا كان الكاتب عالمًا فإن الناقد يجرب أمامه ما سبق أن جربه الكاتب أمام العالم، أي أنه ينبغي أن يرى نفس الاتجاه دون أن يتحول عمله إلى تجربة شخصية نظرًا؛ لأنه محكوم بقواعد الرمز ومنطق العمل نفسه، كما أن معيار العمل النقدي هو الدقة[٢] .

وهكذا فإن الناقد كي يقول الحقيقة لا بد أن يكون دقيقًا في محاولته لوصف الشروط الرمزية للعمل الأدبي[٣] .

---

(١) : إن في النقد اتجاهان سائدان وهما: **سياقي** وهو الذي يدرس النص بسياقه التاريخي أو الاجتماعي، **ونصي** وهو الذي يدرس النص نفسه دون أن يلجأ إلى سياقه الخارجي، وكان النقد البنيوي من هذا الاتجاه، وقد أشرتُ إلى ذلك عندما تحدثت عن أنواع السياق .

(٢) : انظر: صلاح فضل، المرجع السابق، ص ٣٢٧ وما بعدها .

(٣) : نفسه، ص ٣٢٨ .

وأما على الصعيد النقدي فتهدف البنيوية إلى اكتشاف نظام النص، أي بنيته الأساسية ومن ثَّم ترفض أن يتجه النقد إلى الكشف عن الوظيفة الاجتماعية للنص أو ما يتصل بالجوانب الإبداعية للغة والكاتب[1] .

ولهذا فإن وظيفة النقد البنيوي تنحصر في قضية التذوق والفَهم، والسبب في ذلك؛ لأنها تدعو إلى نقد النص نفسه دون اللجوء إلى سياقه الخارجي، فهي تدعو بذلك إلى تذوق النص وفَهم العلاقات الداخلية التي يتكون منها النسق أو النظام .

كما أن النقد البنيوي يدفع بالناقد إلى ضرب من الوضعية الأمر الذي جعله يتخلى عن النظر إلى الأثر الأدبي نظرة مرتبطة بتاريخهِ الاجتماعي أو النفسي، وهذا يدل على وجود رغبة قوية لدى الناقد على اعتبار الأثر الأدبي مقال أو خطاب، أو حديث يخضع لمعايير التحليل البنيوية[2] .

وأن النقد ولغويته منطقية يقوم عليها ويعتمدان على علاقة لغة الناقد بلغة المؤلف الذب يحلله، وعلاقة لغة هذا المؤلف المفقود بالعالم نفسه، واحتكاك هاتين اللغتين هو الذي يولد شرارة النقد ويكشف عن شبهه الشديد بنوع آخر من النشاط الذهني، الذي يعتمد على التمييز بين هذين النوعين من اللغة وهو المنطق، ويترتب على هذا أن النقد ليس سوى ما وراء اللغة وأن مهمته لا تصبح حينئذٍ اكتشاف الحقائق بل تبحث عن الصلاحيات[3] .

فالتحليل البنائي لا يقوم بوصف الأعمال الأدبية بالجودة والرداءة وإنما يحاول إبراز كيفية تركيبه، والمعاني التي تكتسبها عناصره تتألف على هذا النحو فالشكل عند

---

(١) : انظر: شكري الماضي، المرجع السابق، ص ١٩٣ .

(٢) : انظر: سمير حجازي، قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٩٩٠م، ص ١٣٤ .

(٣) : انظر: صلاح فضل، المرجع السابق، ص ٣٨٢ وما بعدها .

البنائية تجربة تبدأ بالنص وتنتهي معه، وكلما مضينا في القراءة التحليلية تكشف لنا أبنية العمل الأدبي[1] .

ونلحظ مما سبق بأن النقد البنيوي قد أخذ طابع التحليل وليس التقييم، وهذا يُعني بأن يحلل البنى والعناصر الداخلية ويفككها إلى عناصر بسيطة وينظر في العلاقات العلائقية القائمة بينها .

وهذا يقودنا إلى القول بأن جوهر العمل الأدبي هو التحليل وليس التقويم، إذ ليس من أهداف هذا النقد أن يصف عملاً بالجودة وآخر بالرداءة، وإنما هدفه الأساسي هو كيفية تركيب العمل الأدبي .

إذن فإن النقد البنيوي يتمركز حول النص ويعزله عن كل شيء، من مثل المؤلف والمجتمع والظروف التي نشأ فيها، ويرى أن الواقع الذي يقوم عليه الأدب لا يخرج عن الخطاب أو اللغة، فالعمل الأدبي كله دال[2] .

وهذا يعني أن النقد البنيوي يعد العمل الأدبي كلاً واحدًا مكونًا من عناصر مختلفة متكاملة فيما بينها على أساس مستويات متعددة تمضي في كلا اتجاهين الأفقي والرأسي في نظام متعدد الجوانب .

وكما ذكرنا في المبحث الأول بأن المنهج البنيوي هو منهج وصفي، وهذا يعني أنه لا يعتمد على الناقد بقدر ما يعتمد على الوصف ولا يخلص لنتائج معينة، فإذن فهو لا يؤول إنما يعتمد على وصف الأبنية الداخلية للنص وعلاقاتها فيما بينها كما ويصف لنا الروية[3]، فكل نص له رؤية فإذا استطاع الناقد رصد تلك الروية فعندئذٍ يستطيع تحليل جزيئات البنية .

---

(١) : نفسه، ص ٣٣٣ .

(٢) : انظر : فائق مصطفى و عبد الرضا، المرجع السابق، ص ١٨٢ .

(٣) : الرؤية : هي الفكرة أو الموقف التي أراد النص أن يُعبر عنها .

إن النص الأدبي يُمكن أن يُدرس على وفق مناهج كثيرة، قد تتفق كلها، أو بعضها في نتائجها، وأحكامِها على النص الأدبي الواحد، ويمكن القول بأن الوظيفة الأولى والأسمى للنقد الأدبي هي إنتاج معرفة بالنص الأدبي نفسه، وهذا يعني أن النقد الأدبي هو نص ثانٍ، لكنه يختلف عن النص الأدبي المدروس في كونهِ يحاول أو يؤسس لعناصر المعرفة في هذا النص[1] .

وهذا يُعني أن النقد الأدبي الصحيح يمثل خطابًا أدبيًا مُؤسِسًا معرفة مستندة إلى ما في النص الأدبي المدروس من تجليات مضمونة، أو بنائية، أو لُغوية أو ...، وهذا في رأيي الباحث ما يُنادي به أصحاب المنهج البنيوي فهم ينادون إلى تأسيس معرفة من ذلك النص بعزلهِ عن الخارج، وهذه المعرفة لا تأتي دفعة واحده بل تتشكل من خلال الوصف والتحليل لذلك النص، والدخول في جزئياته وعلاقاته دون النظر إلى ما حوله .

ومن هنا يتم تأسيس معرفة نقدية حقيقية بالنص، وتكون تلك المعرفة خالصة وحقيقية؛ لأنها تنظر في النص من الداخل وليس من الخارج، وعلى ما اعتقد هذا هو ما تصبوا إليه البنيوية في نقدها .

فداخل هذا الفضاء المعرفي المؤسس، لا بد من إيجاد المعنى بعيدًا عن مرجعية الواقع؛ لأنه لا علاقة بين النص كوجود والواقع كمرجع موضوعي، فالقراءة تتجلى تمامًا عن خارج النص وتعطي أهمية قصوى لداخلِ ومكوناته؛ لأنه المرجعية من حيث هي رؤية متضمنة في مستوياته[2] .

ويرى الباحث بأن النقد البنيوي يُريد أن يُنتج نصًا جديدًا وفق رؤية القارئ، ولكنه يشترط عليه أن تكون تلك الرؤية نابعة من النصِ نفسهِ، ودليلي في ذلك أنه أعتبر القراءة نقدًا، فالقراءة في تلك هي مسار في فضاء النص من أجل إنتاج موضوع جديد وهو النص .

---

(١) : انظر: هادي نصر، البحوث اللغويّة والأدبية (الاتجاهات، المناهج، الإجراءات)، دار الأمل، الأردن، ط١، ٢٠٠٥م، ص ١٣٢ .

(٢) : انظر: مشري بن خليفة، سلطة النص، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠م، ص ٨ .

فالنقـد البنيـوي يعطـي الـنص سـلطة وهـذا عنـدما نـادى بدراسـة الـنص ومحاورتـهِ مـن الداخل، فالنص عندما يصبح مقروءًا هذا يُعني أنه يمتلك سلطة تجعله موضوع قراءة حيث، حدد المنهج البنيـوي مرجعيتـه الـتي يسـتمد منهـا سـلطته، وهـي مرجعيـة أدبيـة أساسـها اللغـة بانتظامها ومدلولاتها على مستوى أنساق العلاقات داخل بنية النص[1] .

فالناقد إذن لا بد من أن يدخل إلى فضاء النص أو المتن؛ لاختراق تلك البنية المتماسكة وتحليل مستوياتها المتداخلة، والنظر في العلاقات القائمة بينها، وهذا المسعى يؤكد لنا على سلطة النص التي تتأس من ذاتهِ، ومن طريق انتظام اللغة داخله .

(١) المصدر نفسه، ص ٧ وما بعدها .

الخاتمة

في أثناء ما تقدم من عرض مفصل للمنهج البنيوي يمكن للباحث أن يخلص إلى أبرز النتائج :-

(١) البنيوية تطلب معاينة متعمقة للنصّ، وهذا نابع من رؤية شمولية للشعر بما هو فاعلية إنسانية تتجاوز شروط الزمان والمكان والفرد واللغة، وتجسّد علاقة جدلية بين الجزئي والكلي، والخاص والعام .

(٢) إن الفكر البنيوي لا يقنع بإدراك الظواهر المعزولة، بل يطمح إلى تحديد المكوّنات الأساسية للظواهر، ثم إلى اقتناص شبكة العلاقات التي تشيع منها وإليها، والدلالات التي تنبع من هذه العلاقات، ثم البحث عن التحولات الجوهرية للبنية، التي تنشأ عبرها تجسيدات جديدة لا يمكن أن تُفهم إلا عن طريق ربطها بالبنية الأساسية وإعادتها إليها، من خلال وعي حاد لنمطي البنى: البنية السطحية والبنية العميقة .

(٣) فهنالك هوّة عميقة بين البنيوية والمناهج الأخرى السائدة في الدراسات العربية، ونلاحظ امتيازه عليها، فالبنيوية لها قدرة فذة على إضاءة العالم _ الثقافة والأدب والشعر والإنسان - إضاءة جديدة تمنح الفكر النقدي صلابة أشد، وقدرة أكبر على معاينة الأدب أو الشعر وتمثّلها وفَهم دلالات مكوّناتها والتشابك المذهل بين ظواهرها وعلاماتها الأساسية .

وبعدُ، فهذا جهد المقلّ، حاولتُ فيه أن أصل إلى الحقيقة غير مدّخر من جهدٍ جهدًا ولا ضان بوقتي، وأرجو الله أن أكون قد سلطتُ الضوء على هذا الموضوع، فإن تمّ لي ذلك فبنعمةٍ من الله وفضل، وإلا فبتقصيرٍ من نفسي وحسبُ المرءِ أن تُعدَّ معايبه .

المصادر والمراجع

١. إبراهيم السعافين و عبد الله الخياص، مناهج تحليل النص الأدبي، منشورات جامعة القدس المفتوحة، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م .

٢. إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م .

٣. إبراهيم محمود خليل، في النقد والنقد الألسني، منشورات أمانة عمان الكبرى، عمان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م .

٤. ابن جني،تح محمد علي النجار، الخصائص ، دار الهدى للطباعة.(د.ت).

٥. ابن منظور، العلاّمة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)، لسان العرب، المجلد التاسع، الطبعة الأولى، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت .

٦. أحمد رحماني، نظريات نقدية وتطبيقاتها، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م .

٧. إديث كريزويل، عصر البنيوية، ترجمة: جابر عصفور، دار سعاد الصباح، الطبعة الأولى، (د. ت) .

٨. بول هيرنادي، ما هو النقد، ترجمة: سلافة حجاوي، سلسة المائة كتاب، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م .

٩. جان بياجة، البنيوية، ترجمة: عارف منيمنه و بشير أوبري، منشورات عويدات، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٨٥م .

١٠.جوناثان كللر، الشعرية البنيوية، ترجمة: السيد إمام، دار شرقيات للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٠م .

١١.علم اللغة العام، فرديناند دي سوسير، ترجمة يوئيل يوسف عزيز، مراجعة د.مالك المطلب، دار آفاق عربية ، بغداد - ١٩٨٥م.

١٢.رامان سلدن، النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة: جابر عصفور، دار قباء، القاهرة، د.ط، ١٩٩٨م .

١٣.روبرت شولز، البنيوية في الأدب، ترجمة: حنا عبود، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، الطبعة السابعة، ١٩٧٧م .

١٤.رومان جاكبسون، قضايا الشعرية، ترجمة: محمد الولي و مبارك حنوز، المعرفة الأدبية، دار توبقال للنشر، ١٩٨٨م .

١٥.زكريا إبراهيم، مشكلة البنية، مكتبة مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٧٦م.

١٦.س. رافيندران، البنيوية والتفكيك (تطورات النقد الأدبي)، ترجمة: خالدة حامد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م .

١٧.سمير حجازي، قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م .

١٨.شكري عزيز الماضي، في نظرية الأدب، دار الحداثة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م .

١٩.شكري محمد عيّاد، بين الفلسفة والنقد، منشورات أصدقاء الكتاب، د.ط، ١٩٩٠م .

٢٠.صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، دار الأفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م .

٢١.صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الثالثة، ١٩٨٧م .

٢٢.عبد السلام المسدّي، قضيّة البنيويّة دراسة ونماذج، وزارة الثقافة، تونس، الطبعة الأولى، ١٩٩١م .

٢٣.عدنان علي النحوي، الأسلوب والأسلوبية بين العلمانية والأدب الملتزم بالإسلام، دار النحوي، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م .

٢٤.عز الدين المناصرة، علم الشعريات (قراءة مونتاجية في أدبية الأدب)، دار مجدلاوي، عمان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م .

٢٥.عمر حسن القِيَّم، في دائرة المنهج (قراءات نقدية)، منشورات أمانة عمان الكبرى، عمان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م .

٢٦.فائق مصطفى و عبد الرضا علي، في النقد الأدبي الحديث منطلقات وتطبيقات، وزارة التعليم العالي، الموصل، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م .

٢٧.ك.م. نيوتن، نظرية الأدب في القرن العشرين، ترجمة: عيسى العاكوب، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م .

٢٨.كمال أبو ديب، جدلية الخفاء والتجلي (دراسات بنيوية في الشعر)، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٤م .
٢٩.مجمع اللغة العربية، سنة النشر (بلا)، جمهورية مصر العربية، المعجم الوسيط، الجزء الأول، دار الدعوة .
٣٠.محمد عبد المنعم خفاجي، مدارس النقد الأدبي الحديث، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م .
٣١.محمد عزام، تحليل الخطاب الأدبي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م .
٣٢.محمد عزام، فضاء النص الروائي (مقارنة بنيوية في أدب نبيل سليمان)، منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م .
٣٣.محمد ولد بوعليبة، النقد الغربي والنقد العربي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م .
٣٤.محمود أحمد العشيري، الاتجاهات الأدبية والنقدية الحديثة، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٣م .
٣٥.مشري بن خليفة، سلطة النص، منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م .
٣٦.ميجان الرويلي و سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م .
٣٧.ميشيال زكريا ، المبادئ والاعلام، علم اللغة الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان، ط١٩٨٣، ٢
٣٨.نبيلة إبراهيم، فن القص في النظرية والتطبيق، مكتبة غريب، القاهرة، الطبعة الأولى، د.ت .
٣٩.نبيلة إبراهيم، نقد الرواية من وجهة الدراسات اللغوية الحديثة، مكتبة غريب، القاهرة، (د. ط)، (د. ت) .
٤٠.هادي نهر، البحوث اللغوية والأدبية (الاتجاهات، والمناهج، والإجراءات)، دار الأمل، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م .
٤١.وليم راي، المعنى الأدبي من الظاهراتية إلى التفكيكية، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، العراق، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م .

٤٢.يُمنى العيد، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، دار الفارابي، بيروت، ط٢، ١٩٩٩م.
٤٣.يوري لوتمان، تحليل النص الشعري، ترجمة: محمد فتوح أحمد، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى، (د. ت).

الأبحاث والدوريات.

١. إبراهيم السعافين، إشكالية القارئ في النقد الألسني، مجلة الفكر العربي المعاصر، العددان ٦٠ ـ ٦١، ١٩٨٩م.
٢. إبراهيم خليل، انقلاب ثوري في الألسنيات، مجلة أفكار، العدد ١١٨، آب ١٩٩٤م.
٣. جميل حمداوي، ما البنيوية، دراسات وأبحاث أدبية، موقع على الإنترنت http://www.rezgar.com.
٤. جودت الركابي، أدبنا والبنيوية، مجلة الموقف الأدبي، العدد ٢٢٠ ـ ٢٢١، آب ١٩٨٩م.
٥. حسام الخطيب، البنيوية والنقد العربي القديم، مجلة الموقف الأدبي، العدد ١٨٢، حزيران ١٩٨٦م.
٦. خريطلي، إشكالية موت المؤلف، مجلة آداب القسطنطينية، العدد ٤، لسنة ١٩٩٧ م.
٧. غسان طعمة، البنيوية في الأدب، مجلة الموقف الأدبي، العدد ١٨٠، نيسان ١٩٨٦م.
٨. مزهر حسن الكعبي، البنيوية والتحليل البنيوي في النص الأدبي، جريدة الجريدة، موقع على الانترنت http://www.aljaredah.com/.
٩. نجم عبد الله كاظم، في نقد النص (النص أم المؤلف)، مجلة أفكار، العدد ١٢٦، آب ـ أيلول ١٩٩٦م.